جمهورية مصر العربية
جامعة الزقازيق
المعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم

مجلة
حضارات الشرق الأدنى القديم

دورية علمية محكمة

http://www.east.zu.edu.eg

الزقازيق

العدد الثانى – السنة الثانية– أكتوبر ٢٠١٦ م–الجزء الثانى

رقم الإيداع ١٨٤٣٥ - الترقيم الدولى (٥٣٣٥ - ٢٠٩٠)

مطابع جامعة الزقازيق

عدد خاص بأبحاث المؤتمر العلمي الدولي

حضارات الشرق الأدنى القديم ومؤثراتها عبر العصور

الذى أقيم خلال الفترة من ١٣–١٥ مارس ٢٠١٦

بالمعهد العالى لحضارات الشرق الأدنى القديم–جامعة الزقازيق

بالتعاون مع كلية التربية الأساسية جامعة بابل

أثر الميثولوجيا الدينية
في السياسة التوسعية للدولة الأخمينية
(٥٥٩-٣٣٠ق.م)

أ.د. سعد عبود سمار
كلية التربية الأساسية- جامعة واسط، العراق

أثر الميثولوجيا الدينية
في السياسة التوسعية للدولة الأخمينية
(٥٥٩-٣٣٠ق.م)

أ.د. سعد عبود سمار
كلية التربية الأساسية- جامعة واسط، العراق

المُقدِّمة:

عُرف الشرق الأدنى القديم توظيف الدين توظيفاً ميثولوجياً في مناحي الحياة كافة: (السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية) ولتسليط الضوء على هذا التوظيف أخترنا أُنموذجاً ليكون موضوع بحثنا وقد وسمناه بـ (أثر الميثولوجيا الدينية في السياسة التوسعية للدولة الأخمينية ٥٥٩-٣٣٠ ق.م). وسيتم تناول الموضوع على محورين:

المحور الأول: توظيف الميثولوجيا الدينية في العمليات العسكرية، ومُرتكز هذا المحور يقوم على أنّ الملك نائب الإله وممثله في الأرض فالآلهة هي من تأمر الملوك لشَّن الحروب ومنها يُستمد النصر. ويتطرق إلى الارتقاء بالعمليات العسكرية إلى مستوى القداسة وذلك: (باستشارة الآلهة واصطحابها في المعارك، وطلب الحماية من الآلهة تفاؤلاً بتحقيق النصر، والصلاة للآلهة واستحضارها قبل بدء المعارك، واصطحاب المغان- رجال الدين – في الحملات العسكرية، وتقديم القرابين للآلهة قبل المعارك وبعدها، والقاء الاناشيد الدينية الحماسية) ويستعرض اعتقاداتهم الميثولوجية على أن الدفاع عن الملك هو دفاعُ عن الإله.

المحور الثاني: فيستعرض ديانة الملوك الأخمينيين وأثرها في سياستهم التوسعية، وكيفية التعامل مع أديان الأمم التي خضعت لسيطرتهم ومعتقداتها بما يخدم تحقيق مشروعهم التوسعي، وفي هذا المحور سنناقش هل السياسة الدينية الأخمينية البراغماتية باحترامها المعتقدات الدينية للشعوب الواقعة تحت سيطرتها آتت أُكلَّها أو أنها جعلت من مهمتهم السياسية والتوسعية أكثر صعوبة؟.

أولاً: توظيف الميثولوجيا الدينية في العمليات العسكرية:

وظف الأخمينيون الميثولوجيا الدينية في معاركهم العسكرية، ففي أول مواجهة عسكرية جمعت بين كورش الثاني واستياجس (ملك ميديا) (والتي تتفق احداثها مع عام ٥٥٣ق.م)، وقد

دارت رحاها في بلاد فارس قرب أسوار قلعة باساركاد حيث سارت أحداثها في صالح استياجس الذي حاصر كورش الثاني على قمة جبل [١]. فيحدثنا (نيكولاس الدمشقي) عن هذه المواجهة العسكرية برواية ذات مسحة أسطورية تُبيِّن توظيف الميثولوجيا فيها إلى أبعد مداها من قبل كورش الثاني، فمن اجل أن يتحقق له النصر؛ قدم قرباناً من الشعير والدقيق على مذبح من شجر السرو، وبدأ بإشعال نارٍ بالاحتكاك البدائي تذللاً وتواضعاً مثلما كان يشعلها الرجل البسيط الذي لا يملك أية أدوات، وفي الحال أتى البرق والرعد، وهكذا أدى كورش الثاني فروض الطاعة، ثم أمتطى جواداً وتبعته طيور خير، وهي من النوع المُفترس تتغذى على جثث قتلى الأعداء، حيث دارت بينهم حرب طويلة وشرسة.[٢]

ويتبيَّن في احتلال كورش الثاني لبابل ذات التوظيف الميثولوجي حينما ألبس مشروعهُ التوسعي ثوب القداسة بجعله أمراً من الإله مردوخ وبمباركته، وبفضله تحقق النصر، وهذا ما نستشفه من (اسطوانة كورش) التي دونها بُعيد الاحتلال جاء فيها: "مردوخ هو الذي أمرني بالذهاب إلى بابل، مردوخ كالقريب والصديق، وهو الذي يحّركُ جيوش كورش التي لا تُعد ولا تُحصى، مردوخ هو الذي جلبهم إلى بابل دون حرب وإراقة دماء".[٣]

ومن مظاهر توظيفهم للميثولوجيا الدينية أنهم جعلوا الملك يتلقى استشارته من الآلهة في أثناء الحملات العسكرية، لكونه وسيطاً بين الآلهة وجنده بصفته القائد الأعلى للجيش الفارسي ؛ فأول عمل للملك كورش الثاني بعد تنصيبه قيامه باستشارة الآلهة بعد أن قدّم لها القرابين لكي يختار رجاله المائة، ففي عبوره الحدود لاحتلال بابل، ولكي يقوي من ثقتهم بالإلهة؛ لأنها مَن تجلب النصر، قال لجنده: ليس من طبعي أن أبدأ عملاً كبيراً أو صغيراً بدون موافقة الآلهة.[٤]

وانتفع كورش الثاني من النصوص اليهودية (بحسب ما جاء في العهد القديم) بما يدعم توجّهه بإضفاء القداسة لحملاته العسكرية على أنها جاءت بمباركة (يهوه) إله اليهود، والتي ارتقت به من مستوى البشر إلى مصاف الأنبياء حينما خاطبه الرَّب بالمسيح الموعود: "هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ لِمَسِيحِهِ، لِكُورَشَ الَّذِي أَمْسَكْتُ بِيَمِينِهِ لأَدُوسَ أَمَامَهُ أُمَمًا، وَأَحْقَاءَ مُلُوكٍ أَحُلُّ، لأَفْتَحَ أَمَامَهُ

---

[١] إ.م.دياكونوف، ميديا، ص٣٩٤. وفي هذه المواجهة كان كورش الثاني ملكاً على فارس فقط.

[٢] بريانت، موسوعة تاريخ الإمبراطورية الفارسية، ج٢، ص ٥٢٤.

[٣] ابو الحسن دهاقان، سياسات ازادمنشانه بزرگ نسبت به اديان، ص ٥٥.

[٤] بريانت، موسوعة تاريخ الإمبراطورية الفارسية، ج٢، ص ٥٢٨.

الْمِصْرَاعَيْنِ، وَالأَبْوَابُ لاَ تُغْلَقُ: أَنَا أَسِيرُ قُدَّامَكَ وَالْهِضَابَ أُمَهِّدُ. أُكَسِّرُ مِصْرَاعَيِ النُّحَاسِ، وَمَغَالِيقَ الْحَدِيدِ أَقْصِفُ. وَأُعْطِيكَ ذَخَائِرَ الظُّلْمَةِ وَكُنُوزَ الْمَخَابِئِ، لِكَيْ تَعْرِفَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الَّذِي يَدْعُوكَ بِاسْمِكَ، إِلهُ إِسْرَائِيلَ". (١)

ومن الشواهد التاريخية بما يؤكد التوظيف الميثولوجي للدين في المعارك ما جاء في رواية المؤرخ هيرودوتس عن مصاحبة خيول مقدسة بيضاء اللون عساكر الجيش الأخميني في أثناء تقدمهم، ففي زحف الملك كورش الثاني لاحتلال بابل وصل إلى رافد جنديس (نهر ديالى) الذي يصّب في نهر دجلة تجاه مدينة أوديس، وحينما أراد جيش كورش الثاني عبور النهر، قفز أحد الأحصنة البيضاء المعروفة بالمُقدّسة فوق النهر، وكان مجرى النهر شديداً، مما أدى إلى غرقه، وحينما رأى كورش الثاني ذلك استشاط غضباً وآلى على نفسه أن يجعله جدولاً صغيراً، فقطعه بتقسيمه على ثلاثمائة وستين ترعة(٢) ولم يُبيّن لنا هيرودوتس في روايته لماذا عُدت هذه الخيول البيضاء مقدسة إلى حّد أن غرقها كان مدعاة غضب كورش الثاني؟، ولماذا تم استصحابها مع الجيش؟ وربما كلَّ ذلك من ضمن المعتقدات الآرية التي تُقدم القرابين فيها إلى الإله ميثرا من الخيول البيضاء، حال تحقيق النصر.

وتتجلى الميثولوجيا الدينية في باب التفاؤل والتشاؤم وأثر الآلهةُ في ذلك بما يؤكد طلب الحماية من الآلهة تفاؤلاً بتحقيق النصر، يتبيّن عندما تقدم جيش كورش الثاني نحو بابل فطار نسرُ كبير من على يمينهم وهو محلّق فوق رؤوسهم، لذا صلُّوا للآلهة من أجل أن تَحفِظ الأبطال الذين يَحمون أرض فارس، وأن تقودهم للمجد وتَرضى عنهم، كذلك صلُّوا بعد أن تحقق لهم النصر(٣) وهذا ما يدعو للاعتقاد أن كورش الثاني استحضر الآلهة واستشارها فجأت هذه الاستشارة بفأل حسن بطيران النسر صوب اليمين وكأنه يشير بطيرانه نحو الاتجاه المُراد السيرُ نحوه؛ لذا صلُّوا واستحضروا الآلهة قبل بدء المعركة؛ لأنها طمأنتهم بالنصر، وصلُّوا مرّة أخرى شكراً للآلهة لأنها حققّت لهم النصر.

وكان الملك داريوش الأول(دارا الأول)٥٢٢- ٤٨٦ق.م يستعين بالإله اهورامزدا من أجل أن يحقق النصر له ولعائلته الملكية بحسب نقش داريوش الأول (Dpd) في قصره في برسيبوليس البند

---

(١) الكتاب المقدس، سفر اشعياء،الاصحاح،٤٥،الايات ١-٣.

(٢) تاريخ، ك ١، فقرة،١٨٩- ١٩٠.

(٣) بريانت، موسوعة تاريخ الإمبراطورية الفارسية، ج٢،ص ٥٢٨.

(٣) جاء فيه: " إن اهورمزدا مع كلَّ آلهة البيت الملكي سيساعدونني، وهذه الأرض محميّة من قبل اهورامزدا من الأعداء والجفاف والكذب، ولا تصلها جيوش الأعداء، ولا تصاب بالقحط والكذب، هذا ما اطلبه من اهورمزدا وآلهة البيت الملكي"[١]. وهنا يمكن عدّ اهورمزدا من آلهة الحرب الذي استعان به داريوش الأول مع آلهة أخرى لم يسمَّها لنا. وفي هذا الدعاء يطلب من اهورامزدا أنْ يَحمَيهُ، وأن يحمَي البيتَ الملكَّي، وفارساً من العدوان الخارجي، والثورة (الكذب)، فالملك بمثابة الوسيط بين عالم الآلهة وعالم البشر، فبفضّل الإله اهورامزدا حصل على الفضائل الملكيّة: المحارب الصالح (الذي يطارد جيش الاعداء)، والملك العادل الذي يحارب الكذب، وحامي الأرض والفلاحين.[٢]

ويعزو الملك داريوش الأول انتصاراته العسكرية إلى عبادته الإله اهورامزدا، فقد جاء في لوح (DB) بقوله:" حينما قصدت أنا وجيشي منطقة سكا، لألاحق من عصا أمري من الاسكائيين، وعند وصولي إلى نهر (سيحون –آمودريا–)، عَبَرتُ بجيشي كلَّه، وهزمت الاسكائيين هزيمةً نكراء.... فأصبحتْ تلك البلاد تحت سلطتي..... وكان الاسكائيون أشراراً لم يعبدوا اهورامزدا، وأنا كنت أعبده، فأوقعت بهم كما كنت اتمنى".[٣]

وكانت تصاحب حملات الملك خشايارشا (احشويرش)٤٨٦– ٤٦٥ق.م العربة المُقّدسة للإله اهورامزدا تجّرها ثمانيةُ خيول بيضاء، ويسير السائق وراءها راجلاً بيده العنان؛ لأنهُ لا يُسمح لأحد أن يرقى كُرسيها[٤]. وهذا له دلالة على توظيف الدين بالفعاليات العسكرية الأخمينية ويؤكد الاعتقاد السائد لدى خشايارشا ومن جاء بعده من الملوك أن وجود هذه العربة المُزيّنة والمخصصة للإله اهورامزدا على أنه يحضر مع الجند في ساحات القتال فيستمدون العونَ والنصرَ منه، وأنّ حضوَره المعنويَّ ذو أهمية لرفع معنويات المقاتلين ظانيّن أنّ الإله اهورامزدا يقاتل إلى جانبهم، وأنّه الحامي والحافظ للملك، وببركاته تتحقق الانتصارات. وما يُؤكد الاعتقاد السائد أن النصر مُستمدّ مِن الإله اهورامزدا، ما جاء في اللوحة الحجرية (DB) مِن قول للمك داريوش: "بعد أنّ اصبحت ملكاً، خضتُ تسع عشرة معركة بإرادة اهورامزدا انتصرت فيها جميعاً وأسرتُ تسعة ملوك".[٥]

---

(١) بروز رجي، هزاره هی کمشده، جاب سوم، ص ٣٦٨؛ پی یر لو کوک، کتیبه های هخامنشی، بند ٣، ص ٢٧٢.

(٢) بريانت، موسوعة تاريخ الإمبراطورية الفارسية، ج٢، ص ٥٢٤،ص٢٤٥، ص٢٢٦.

(٣) ويليام ومالاندرا، مقدمة اى بر دين ايران باستان، ص ٧٨– ص٧٩، للمزيد ينظر: پی یر لو کوک، کتیبه های هخامنشی، بند ٧٣، ٧٤.

(٤) تاريخ، ك ١، فقرة،١٨٩– ١٩٠.

(٥) ويليام ومالاندرا، مقدمة اى بر دين ايران باستان ص٧٧؛ پی یر لو کوک، کتیبه های هخامنشی، بند ٥٢، ص ٢٤٥.

ويتجلّى في القصة التي تدور أحداثُها عن حملة داريوش الأول ضد خائن من آسيا الصغرى افضل توظيف للميثولوجيا الدينية في العمليات العسكرية؛ إذ بسبب خيانة سيراكيس، دليلهم في الصحراء، وجد الجيش نفسه في منطقة جرداء تماماً من دون ماء أو طعام، وجاء الخلاص على يد داريوش نفسه (كونه الوسيط بين الآلهة والبشر)، حينما تسلق جبلا عاليا (رمز للمكان المقدس)، وبعد أن غرس رمحه في الأرض، وصلى للإله (ابولو) – الذي يرمز للإله ميثرا عند الفرس والذي يرتبط أسمه بالمطر– لكي ينقذ الفُرس ويرسل لهم الماء من السماء، وقد استجاب الإله لدعائه وهطلت الأمطار الغزيرة.[١]

وكان الملوك يصطحبون المغان (رجال الدين) في حملاتهم العسكرية، مرتدين الملابس البيضاء، ترافقهم النار المقدسة وعربة اهورامزدا التي تجرها الخيول النيسانية البيضاء[٢] ويحدثنا هيرودوتس عن الوظيفة التي يؤديها (المغان) في المعارك منها تقديم الاستشارة للملك تبعا لما تخبرها الآلهة ففي حملة خشايارشا على اليونان وفي الطريق إلى ابيدوس هو وجيشه حدث كسوف للشمس مما ارتاع الملك من ذلك وظنه فألاً سيئاً له ولجيشه، فأستشار (المغان) عما يعني ذلك فأجابوه أن الآلهة ينذرون الأغارقة بخراب مدنهم؛ لأن الشمس كانت تُنبئ بمستقبل هذه الأمة والقمر بمستقبل أمة الفُرس فسرّ خشايارشا بهذا الجواب وواصل المسير[٣] ونبقى في ذات القصة وعلى الرغم من تفسير المغان المهدئ، إلاّ أنّ الملك واصل اجراءاته الاحترازية لدفع الشؤم عن جنده، فقد أجرى تطهيراً للجيش وهو إجراء مفيد جداً للمسيرة والحملة العسكرية، وبهذا خلّفوا الشر وراءهم، وقطعوا عليه الطريق بفضل القربان، باختيار الضحية البشرية[٤]، وكان ابن بيثيوس الليدي الذي كان له خمسة ابناء في جيش خشايارشا وطلب منه أنّ يعفي ابنه البكر من الخدمة في الحرب إلاّ أنّ خشايارشا عاقبه بإحضار ابنه البكر وأمر بقطعه نصفين من وسطه ووضع شطراً من جسده في يمين الطريق والشطر الآخر في يساره، وقد مشى الجيش بينهما.[٥]

وتضيف الشواهد التاريخية بما يؤكد توظيف الميثولوجيا الدينية في عملياتهم العسكرية، ففي استعدادات الفُرس ضد اليونان عام (٤٨٠ ق.م) انتظروا ليشاهدوا طلوع الشمس، وبينما هم

---

(١) بريانت، موسوعة تاريخ الإمبراطورية الفارسية، ج٢، ص ٥٢٢– ص ٥٢٣.

(٢) Ducan Head, The Achaemenid persain army , p. 59.

(٣) تاريخ، ك٧، فقرة ٣٧.

(٤) بريانت، موسوعة تاريخ الإمبراطورية الفارسية، ج٢، ص ٥٢٩.

(٥) هيرودوتس، تاريخ، ك٧، فقرة ٣٧.

منتظرين شروقها، وحينما اشرقت حرقوا على جسر – فوق الدردنيل– انواع الطيوب ، وفُرِش الطريق بورق الآس، وسكب الملك (خشايارشا) مشروباً في البحر بكأس من ذهب، وصلَّى إلى الشمس لكي تُحَوّل كلَّ العوارض التي يمكن أن تمنعهُ من إخضاع اليونان قبل أن يصل إلى اطرافها، ولمَّا انتهى من صلاته القى الكأس في البحر وجاما من ذهب وسيفاً فارسياً يسمونهُ (اكيناكيس)، ومن الواضح كان القاؤه لهذه الاشياء في البحر على سبيل التقدمُات (النذور) للشمس[١] ولعل هذا متأتٍ من تقديس الفُرس للماء الجاري الذي لم يَلوَّثْ بالمخلفات، وإن ما قام به خشايارشا هي طقوس خاصة بتقديس الماء والشمس[٢] وهذا يدفعنا إلى التشكيك برواية هيرودوتس التي تروي قصة انهيار الجسر على الدردنيل بسبب هياج البحر، مما دفعه إلى تلفيق رواية تظهر حماقة الملك (خشايارشا) بعدم تقديسه للبحر حينما عاقبه بجلده بالسوط ثلاثمائة جلدة، وأرسل جماعة كووا مياهه بحديدة محماة،[٣] ومما لاشك فيه أن هذه الرواية تنمُّ عن عقلية حانقة على الفرس؛ لأنهم قاموا بغزو بلاده (اليونان)؛ ويمكن إعطاء تفسيرٍ لطقوس خشايارشا برميه ورق الآس أمام الجند لأنه مقدسٌ عند الإيرانيين القدماء، ويُحتمل أن ما سكبه في البحر هو المشروب المُقدس عند الآريين (الهوما)، إن هذه الطقوسَ الدينيةَ التي مارسها القائد العام للجند، يُراد منها تحفيز جنده، والتفاؤل بتحقيق النصر.

ويبلغ التوظيف الميثولوجي للدين في العمليات العسكرية اقصى مداه حينما جعل الملك نفسه مُنَصَباً من قبل الإله، وأن الدفاع عن الملك معناه الدفاع عن الإله، والدعاء للملك جزءُ من الاناشيد الدينية التي يردُ فيها مدح الملك وقائد الجند إلى جانب الإله، فيجب على جميع الجنود حماية الملك ومدحه أمام القائد الأعلى للجيوش؛ لكونه واجباً دينياً ووطنياً، وبذلك فإن مدح الملوك يُضفي القدسية على أعمالهم ومُلكهم.[٤]

وقدّم الملوك القرابين إلى الآلهة قبل بدء المعارك العسكرية للتيَّمُن بكسب النصر، ففي زحف الملك خشايارشا لاحتلال اليونان، وعند عبوره منطقة ستريمون بالجسور قام(المغان) بتقديم القرابين

---

[١] المصدر نفسه، ك٧، فقرة ٥٤.

[٢] بريانت، موسوعة تاريخ الإمبراطورية الفارسية، ج٢، ص ٥٢٨.

[٣] هيرودوتس، تاريخ، ك٧، فقرة ٣٥.

[٤] بختورتاش نصرت الله، استراتزي نظامى ايران هخامنشى، ص ٢٠.

من الخيول البيضاء، وسكب دمائها في المجرى المائي طلباً للفأل الطيب، وفي ملتقى (الفرق التسع)، تم تقديم القرابين وهي (تسعة أطفال تقرباً لآلهة العالم السفلي).[١]

وتُجسد معركة الملك داريوش الثالث (دارا الثالث) ٣٣٦- ٣٣٠ق.م مع الاسكندر المقدوني افضل صور التوظيف الميثولوجي للدين: حيث تتقدم الجيش مواقد النار المقدسة، تليها جماعة المغان وهم ينشدون الاناشيد الدينية بصوت عالٍ، وتتبعهم عربة اهورامزدا المقدسة التي تجرها الخيول البيضاء مُزّينة بتماثيل ذهبية أحدها ترمز للإله اهورامزدا مُرصَّعة بالأحجار الكريمة، وتمثال آخر يرمز للسلالة الملكية النبيلة، وبينهما شاهين ذهبي مفتوح الجناحين.[٢]

وكان موضوع الصلاة للآلهة واستحضارها قبل بدء المعركة من الطقوس الواجب اتباعها، وهذا ما نلمسه في الشاهد التاريخي المتمثل باستعدادات الملك داريوش الثالث قبل بدء معركة كوكاميل Gogamela [٣] مع الإسكندر المقدوني سنة (٣٣١ق.م)، حين استحضر بصلاته إله الشمس مثرا، والنار المقدسة؛ ليُلهم الجنود الشجاعةَ ويذكرهُم بالمجد القديم وانجازات أجدادهم ومن ثَمّ خاطب إلهه الخاص بدعوة آلهة أجداده، والنار المقدسة التي اضاءت نيرانها أمامه، وبإشراق الشمس في عالمه، وما قام به يريد أن يوصل رسالة إلى جنده مفادها أن ثمة مُلازمة بين الشرعية الملكية والنصر والحماية المقّدسة، وبما يُفهم أن خطاب الملك الديني يُمكن أن يرفع شجاعة جنده.[٤]

وأنتفعَ الملوك الأخمينيون من توظيف الدين لعملياتهم العسكرية؛ فأعطوا تبريراً للهزائم العسكرية على أنها بأمر الإله ومن أجله وبذلك يصل التوظيف المثيولوجي للدين اقصى مدياته في خداع الناس، بدلالة تبرير الملك داريوش الثالث انهزامه في المعركة من أمام الإسكندر المقدوني لم يكُن بدافع الجُبن، وإنما فُسر على أن: "من واجب الملك أن ينجو كي يحكم البلاد ويُسيَّر الأمور بأمر اهورامزدا".[٥]

---

(١) أ.ت. أولمستد، الإمبراطورية الفارسية عبر التاريخ، مج١، ص٣٧٦.

(٢) فرهنک، ايران باستان، انتشارات اساطير، ص ٣٠٠.

(٣) المنطقة القريبة من نينوى (اربيل الحالية) والتي التقى بها الجيش الأخميني بقيادة داريوش الثالث، وجيش الإسكندر، وانتهت بهزيمة الجيش الأخميني بسبب فرار داريوش من أرض المعركة، وادت هذه الهزيمة إلى سقوط الدولة الأخمينية على يد الإسكندر المقدوني، للمزيد ينظر: مهر آبادي، ميترا، تاريخ كامل ايران باستان(از پيش از تاريخ تا پايان سلسلة ساسانى)، انتشارات دنياى كتاب، چاپ سوم، (تهران- ١٣٨٢)، ص ٥٥٥- ص٥٥٧.

(٤) بريانت، موسوعة تاريخ الإمبراطورية الفارسية، ج٢، ص ٥٢٩- ص ٥٣٠.

(٥) المصدر نفسه،ج٧، ص ١١٦.

ثانياً: الميثولوجيا الدينية وأثرها في السياسة التوسعية:

اختلفت آراء الباحثين في المعتقد الديني الذي كان عليه الملك كورش الثاني، فهناك من يرى أنه على الديانة الزرادشتية [١] وفي رأي أنه على الديانة الآرية القديمة التي تُقدس قوى الطبيعة (الشمس، والقمر، والنار، والماء، والهواء)[٢] وكانت الآلهة (اهورامزدا، وميثر، وأناهيتا) محط تقديس من قبل كورش الثاني[٣] بدلالة تقديمه القرابين من الخيول البيضاء للإله ميثرا، إذ كانت الخيول تُقدم قُرباناً للشمس في أثناء الأعياد التي يحضرها الملك وبشكلٍّ دوري، وفي الغالب أن الشمس ترمز إلى الإله ميثرا.[٤]

وما يؤكد تقديس الآلهة (اناهيتا) و(اهورامزدا) من قبل كورش الثاني وعبادتها هو بناء معبد لـ (اناهيتا) في عاصمته باسركارد قرب عين ماء عرفت بـ (عين اناهيتا) وقريبا من الضفة الغربية لها يقع محرابها المقدس ذو المذابح المُقدسة المبني من الحجر الجيري الأسود، وهو صخرة مفردة وضعت فوقها صخرة أخرى منحوتة بسبع درجات مؤدية إلى أعلى المحراب، وهناك يوجد مذبح آخر للإله (اهورامزدا).[٥]

من كلِّ ما تقدَّم تتأكد المعتقدات الدينية التي كان عليها كورش الثاني في بلاد فارس، إذ كان على المعتقدات الآرية، ولم يعرف عنه أنه كان زرادشتيا بدلالة عدم ورود اسم الإله اهورامزدا في كتاباته، وكذلك اسم زرادشت، فضلاً عن أنه قدم القرابين وبنى المذابح التي لا تجيزها الديانة الزرادشتية، يُضاف إلى ذلك أنه لم يُدفن على الطريقة الزرادشتية فيما يُعرف بأبراج الصمت[٦]، وإنما كان له قبرُ في عاصمته باسركارد بدليل وصيته التي جاء بها: "حينما يكون جثماني بلا روح، وأنا غير موجود بالدنيا، حينئذ سارعوا وادفنوني في التراب"،[٧] وهذا يخالف المعتقدات

---

(١) ينظر: مري بويس، تاريخ كيش زردتشت، جلد دوم، ص ٦٩- ص٧٨.

(٢) لوييس گرى، هخامنشيان و دين زرتشت، ص ٢٣.

(٣) همان منبع، ص ٢٣.

(٤) بريانت، موسوعة تاريخ الإمبراطورية الفارسية، ج١، ص ٢٣٠.

(٥) اولمستد، الإمبراطورية الفارسية، مج١، ص١٠٦.

(٦) أيها الخالق المقدس للعالم المادي ! أين ينبغي لنا نقل أجساد الموتى؟..... هكذا يسأل زرادشت في الفنديداد. فيجيب اهورامزدا: في أعلى مكان يا سبيتاما زرادشت!.وأبراج الصمت: كانوا يجعلون الاجساد في ذرى الجبال العالية، دون أن يحيطوها بسياج. وحين لا تترك منها الكلاب والنسور وسواها من الجوارح شيئاً غير العظام، وبعد سنة يأخذونها ويحفظونها في فجوات من الحجر. ينظر: جمشيد يوسف، الزرادشتية، ص١٨١- ص١٨٢.

(٧) مجيد يزدان برست، از زبان كورش تاريخ ايران باستان از ورود اريايي ها به ايران تا سقوط هخامنشيان، ص ١١٣.

الزرادشتية التي تُعد التراب من عناصر الطبيعة المُقدسة، لذا فإن دفنه في التراب يعني تلوثه وهذا ما تُحرمه تلك الديانة.

أما عن أثر الميثولوجيا الدينية في السياسة التوسعية التي شهدها عهد كورش الثاني، فقد تمثلت بتوظيف آلهة الأقاليم المحتلة على أنها هي من اوعزت له بفتح بلدانها، وهنا خاطب مشاعر العامة لما للدين من أثر فاعل في حياتهم، فضلاً عن طبقة رجال الدين التي يمكن اعتمادها في ترويج سياسته التوسعية وتغليفها بثوب ديني مقبول من قبل اتباع هذه الآلهة، ويمكن ان نتلمس ذلك من (اسطوانة كورش) التي جاء فيها: "الإله مردوخ هو الذي أمرني بالذهاب إلى بابل، وكان لي صديقاً، ورفيق طريق ادلني وأمرني بتحرك جيشي الكبير إلى بابل، وببركات مردوخ سلَّم الملك نبونئيد (٥٥٦- ٥٣٩ق.م) إلى كـــورش الثاني لأنه لم يُجّل الإله مردوخ"؛[١] وفي نص آخر من الأسطوانة يقول: "أعطيته – أي مردوخ إلى كورش- الامر بفتح جميع المعابد التي تم اغلاقها وارجعت جميع عابدي الآلهة التي أُخذت منهم هذه المعابد".[٢] ويتبيَّن من هذه النصوص أن اسطوانة كورش ما هي إلا صورة توضح، بشكلٍّ لا يدع مجالاً للشك، توظيف الدين في السياسة التوسعية الأخمينية إذ لا توجد اشارة فيها إلى الصلاة والدعاء إلى الآلهة الفارسية أو الآرية، وإنما هي محاولة واضحة جداً لكسب ود الشعب البابلي بذكر الإله البابلي مردوخ ومباركته لـ (كورش) في الغزو الفارسي. وهذا ما يُضعف الرأي القائل أن كورش الثاني كان على الديانة الزرادشتية الأولى ولو كان الأمر كذلك لذكر اهورامزدا ولو قليلاً، بل على الضد من ذلك، إذ غابت الآلهة الفارسية تماماً عن الاسطوانة، وهذا يعطي انطباعاً في توجيه الأيديولوجية الدينية سياسياً للسيطرة على البابليين، بما لا يدع مجالاً للشك في القول: إن كورش الثاني لم يكن متديناً أو في الحقيقة لم يفكر إلا بآلهة البابليين لتحقيق مشروعه السياسي في السيطرة على بابل.

وأمر كورش الثاني جيوشه بالمحافظة على قُدسية معابد البابليين واحترامها وعدم الدخول فيها[٣]، وخصص حراساً للمعابد لكي يمنعوا الجنود من الدخول إليها،[٤] وقد جَلَّ كورش الثاني آلهة بابل، فضلاً عن إله اليهود (يهوه)، وعبّر عن ستراتيجيته في التعامل مع الاديان بقوله: "إن كلَّ

---

(١) ابو الحسن دهقان، سياست ازاد منشائه كورش بزرگ نسبت به اديان، فى كتاب كنگره وفرهنگ ايران، ص ٥٥.

(٢) شاهرخ رزمجو، استوانة كورش بزرگ، بند ٢٦-٢٧-٢٨، منشور معروف كورش، ص ٦٥.

(٣) ابو الحسن دهقان، سياست ازادمنشانه كورش بزرگ نسبت به اديان، ٥٣.

(٤) همان منبع، ص ص ٥٣-٥٤.

شخص له الحرية في دينه واعتقاداته المذهبية"،[١] فمن أهم الاعمال التي قام بها، هو اعادة بناء المعابد وترميمها وهذا ما اشارت إليه (اسطوانة كورش) التي ذكر بها تلقيه الاوامر من الإله مردوخ بذلك: "أعطيته الأمر بفتح جميع المعابد الذي تم اغلاقها، وارجعت جميع عابدي الآلهة التي أُخذت منهم هذه المعابد"،[٢] وعمل على إعادة تماثيل الآلهة الرئيسة إلى معابدها بعدما أن جمعها الملك البابلي نبونائيد في مدينة بابل العاصمة في اعتقاد منه أنها ستنصرهُ على كورش أثناء زحفه نحو بابل،[٣] إذ يقول كورش: "إن آلهة سومر وأكد التي ارجعها نبونائيد، على أثر غضب مردوخ العظيم، إلى بابل بناءً على أمر مردوخ، جعلتُها من جديد تحتل مذابحها بطمأنينة وهدوء"[٤] وكان يُبرر عمله هذا بإيحاء وأمر من الإله مردوخ على أمل أن جميع الآلهة التي أعادها إلى مدنها يسألون الإله مردوخ ونابو بأن يدعو له بالعمر الطويل، وليتهم أن يقولوا للإله مردوخ سيدي: إن كورش الملك ونجله قمبيز يُكنان له الاحترام.[٥]

وحينما وصل كورش بابل دخل معبد (إيساكلَّا- معبد الإله مردوخ-) فقَبَّل تمثال الإله مردوخ[٦] وقَدَم القرابين والاضاحي، ولم يُعرّف نفسه على أنه فاتح أو ملك فارسي، وإنما مُبعث من قبل الإله مردوخ؛[٧] يتضح من قوله: "دخلت بابل بصورة سلميّة، جعلتُ مقر السلطة -تحت التهليل والابتهاج- في قصر الأمراء، وحبَّب لي مردوخ السيد العظيم قلوب البابليين الكبيرة، في الوقت الذي اقمت الصلوات اليومية من أجله"،[٨]

وقد عمل كورش في بابل بما يدعم سياسته الدينية باحترام العقيدة الدينية لأهالي بابل وتعظيم شأن آلهتهم ومعابدها، إذ عثر الآثاري (جوردان) على صخرة وتسعة أعمدة في معبد إيساكيلا كُتب عليها عبارة جاء فيها "أنا كورش ملك الفرس أُقدّر وأُجلّ معبد إيساكيلا في بابل،

---

(١) رضا شعباني، كتاب ايران (گزيده تاريخ ايران)، ص ٤٩.

(٢) شاهرخ رزمجو، استوانة كورش بزرگ، بند ٢٦-٢٧-٢٨، منشور معروف كورش، ص ٦٥.

(٣) بدايتي، كوروش كبير، ص١٨٨.

(٤) روثن، مارغريت تاريخ بابل، ص١٧٢.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٧٢.

(٦) انطون مورتكات، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص٣٦٨.

(٧) بهرام فره وشي، ايرانويج، ص ٥٢.

(٨) انطون مورتكات، تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص٣٦٨.

ومعبد ازيلا (معبد الإله نبو في بورسيبا)، أنا ابن قمبيز الملك المُقتدر"؛[١] وعمل على تقديم القرابين الى آلهة الاقوام المغلوبة أينما ذهب.[٢]

ووضع كورش يده في يد الإله مردوخ، [٣] "اختاره مردوخ وامسك بيد كورش ملك انشان، وقد سمى نفسه خادم مردوخ"،[٤] وبذلك سار على خطى مراسيم تنصيب الملوك البابليين، فأضفى صفة الشرعية على حكمه بما يُشرعن حُكمه على أنه مُنَصَّبٌ من قبل الإله مردوخ. وسجّلت لنا اسطوانة كورش شكره وحمده للإله مردوخ بما مَنَّ عليه وعلى ابنه قمبيز وجيشه بما يدعم حسن التوظيف الديني لسياسته التوسعية جاء فيها: "مردوخ ارتضى افعالي الحسنة وأعطاني، أنا- كورش – عابده و شاكره، وابني كمبوجية(قمبيز)، وجيوشي البركة و العطف الإلهي"[٥] وأدعى كورش أنه تم تعيينه من قبل الإله مردوخ الذي طاف كلَّ البُلدان وبحث عن أمير عادل، أمير قريب من قلبه بوسعه أن يأخذه بيده، وقد ناداه باسمه:"يا كورش، ملك انزان! فعيّنهُ لسرير الملك". [٦]

ولكي يُطمئن كورش المجتمع البابلي ويزيد من ثقتهم به، عمل على احترام النخب الدينية (الكهان) وطقوسهم ومعتقداتهم حينما سمح لهم في ممارسة طقوسهم الدينية بكلَّ حرية، وأُعيد الاحتفال بـ (عيد أكيتو)[٧] الذي أُلغي الاحتفال به لمدة عشر سنوات؛ لغياب الملك نبونائيد عن بابل، والتي لا يمكن أجراء الاحتفال به إلا بحضور الملك.[٨]

ويتجلى توظيف (كورش الثاني) للدعاية اليهودية في بابل بما يخدم سياسته التوسعية على أفضل الأوجه، فقد رفع ما جاء بكلَّام نبي اليهود اشعيا من شأن كورش بعدّهِ المسيح المُنتظر لليهود، الذي سيأخذ بيمينه، وستفتح له الابواب، وينقذهم من الكلَّدانيين ويعيدهُم إلى أوطانهم[٩] وقد

---

(١) علي سامي، تمدن هخامنشى، ص ٢١٣.

(٢) وول ديورانت، قصة الحضارة، ص ٤٠٤.

(٣) بهرام فره وشي، ايرانويج، ص ٥٢.

(٤) بيرنيا، تاريخ ايران القديم، ص٨٥.

(٥) شاهرخ رزمجو، استوانة كورش بزرگ، بند ٣٢، منشور معروف كورش، ص ٦٦.

(٦) مرغليوث، تاريخ بابل، ص ١٧٠

(٧) اكيتو: جرت العادة منذ العهد البابلي القديم الاحتفال في بداية كل سنة بابلية التي تبدأ في الأول من نيسان، ويستغرق الاحتفال أحد عشر يوماً، ويشارك فيه الإله والملك وسكان المدينة، وأهم مراسيمه تجديد البيعة للإله مردوخ، وتجديد الملكية، والزواج المقدس، ينظر: شيبان ثابت الراوي، الطقوس الدينية في بلاد الرافدين حتى نهاية العصر البابلي، ص٧٢- ص١٢٩.

(٨) Reinhard kratz, "from nabonidus to Cyrus," p. 149.

(٩) ينظر: سفر أشعياء، الاصحاح ٤٣، ١٤-١٧، الاصحاح ٤٥، ١-٣.

تُرجم ذلك على أرض الواقع حينما اسهموا بشكلٍّ فاعل في سقوط بابل ربما بأخبار كورش الثاني بنقاط ضعف المدينة، فضلاً عن إسهامهم في الازمة الاقتصادية التي مهدت للاحتلال الأخميني لـ (بابل)، والاسهام ذاته يؤدونه لاحقا في احتلال قمبيز لمصر. وما يؤكد التعاون الأخميني – اليهودي هو مكافأة كورش بإعادة الأواني الفضية التي يُعتقد أنه اخذها نبوخذنصر (٦٠٤–٥٦٢ق.م) في دخوله اورشليم بحسب النص التوراتي: "وَالْمَلِكُ كُورَشُ أَخْرَجَ أَنِيَةَ بَيْتِ الرَّبِّ الَّتِي أَخْرَجَهَا نَبُوخَذ نَاصَّرُ مِنْ أُورُشَلِيمَ وَجَعَلَهَا فِي بَيْتِ آلِهَتِهِ أَخْرَجَهَا كُورَشُ مَلِكُ فَارِسَ عَنْ يَدِ مِثْرَدَات الْخَازِنِ، وَعَدَّهَا لِشِيشْبَصَّرَ رَئِيسِ يَهُوذَا. وَهذَا عَدَدُهَا: ثَلاَثُونَ طَسْتًا مِنْ ذَهَبٍ، وَأَلْفُ طَسْتٍ مِنْ فِضَّةٍ، وَتِسْعَ وَعِشْرُونَ سِكِّينًا، وَثَلاَثُونَ قَدَحًا مِنْ ذَهَبٍ، وَأَقْدَاحُ فِضَّةٍ مِنَ الرُّتْبَةِ الثَّانِيَةِ أَرْبَعُ مِئَةٍ وَعَشَرَةٌ، وَأَلْفٌ مِنْ أَنِيَةٍ أُخْرَى. جَمِيعُ الأَنِيَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ خَمْسَةُ آلاَفٍ وَأَرْبَعُ مِئَةٍ. الْكُلَّ أَصْعَدَهُ شِيشْبَصَّرُ عِنْدَ إِصْعَادِ السَّبْيِ مِنْ بَابِلَ إِلَى أُورُشَلِيمَ"[١] وكذلك أصدر كورش أوامره سنة (٥٣٧ق.م) بإعادة بناء المعبد في القدس مُعطياً مواصفاته (٦٠× ٦٠ذراع) متعهداً بتحمل نفقات البناء.[٢]

وكانت لسياسة كورش الثاني الجيدة والمتسامحة في التعامل مع اليهود أبعادُ ستراتيجية؛ لأنه كان ينظر الى فلسطين على أنه موقع جيد للعبور الى مصر والوصول إليها،[٣] لاسيما ببقائهم على العهد اوفياء، لذا كان يرى في تحالفهم معه عاملاً جيداً من اجل الوصول إلى مصر في المستقبل.[٤]

وتبقى الاعتبارات السياسية تؤدي فعلها ولا يمكن تجاهلها في الخيارات السياسية لـ (كورش الثاني)؛ لأن إدارة الأراضي الواسعة في الإمبراطورية الأخمينية يتطلب تبني ستراتيجية ذات بُعد أيديولوجي تمكنهُ من منع حدوث تمردات وهذا يتطلب التعاون مع النُخب الدينية واحترام معتقدات الشعوب الدينية، واستمرارها، فضلاً عن تقديم نفسه حامياً للمعابد والمقدسات. وقد استطاع كورش الثاني من فعل ذلك حينما قام بتحييد رجال الدين المحليين وادراجهم في سياسة حكمه الجديدة، ومنح الحرية السياسية المحدودة بطرق استطاع هو الاخر الانتفاع منها. فعلى سبيل المثال: إن أحد أغراض كورش الثاني في السماح لليهود بالعودة إلى فلسطين هو استخدامهم حاجزاً بين سلطته و سلطة المصريين[٥] وتتجلى أيضاً براغماتية كورش الثاني التي بنى عليها ما عُرف بسياسة

---

(١) الكتاب المقدس، عزرا، الاصحاح الاول، الآيات ٧–١١.

(٢) سامي سعيد الاحمد، تاريخ فلسطين القديم، ص٢٣٥.

(٣) گيرشمن، تاريخ ايران از اغاز تا اسلام، ص ص١٤١–١٤٢.

(٤) بير بريان، تاريخ امبراتوي هخامنشيان، ج١، ص ٧٣.

(٥) Abbott, Jacob. Cyrus the Great. New York: Harper & Brothers, 1900. 222. Print.

التسامح الديني هو في تعامله مع اليهود بإرجاعهم إلى فلسطين، وذلك في ضمن خططه المستقبلية التي يرمي فيها الوصول إلى مصر والسيطرة عليها مروراً بـ (فلسطين) المؤدية إليها، منتفعا من التوظيف السياسي للدين وذلك بما قدمه من خدمة إلى اليهود.[١]

وعلى الرغم مما قيل عن علاقة كورش الثاني باليهود إلا أن الامر يبقى موضع جدل، فليس هناك معطيات تاريخية غير العهد القديم يمكن الركون إليها للتأكد من صحة المعلومات التي اوردها العهد القديم عن تلك العلاقة، وبذلك تكون كلَّ تفصيلات ارجاع اليهود من قبل كورش الثاني واعادة بناء المعبد مذكورة في العهد القديم فقط.[٢]

ونبقى في الشواهد التي تُدعم نعتنا لسياسة كورش الثاني الدينية بالبرغماتية بتوظيفها في سياسته التوسعية وهذه المرّة مع احتلاله إلى هندوستان (الهند) سنة ٥٤٥ق.م باحترامه معتقدات تلك الأقوام حينما وجدهم يعبدون البقر ويقدسونه، فأمر بعدم ذبح البقر لإطعام الجند وعمد إلى اطعامهم من النباتات والالبان والاسماك طيلة بقاء الجند في تلك المناطق.[٣]

ونخلص مما تقدم أن السياسة التي اتبعها كورش الثاني في المناطق التي اخضعها للدولة الأخمينية بالإبقاء على قوانينها الخاصة وعلى معتقداتها الدينية بما يبرهن قدرته على تعزيز الاستقرار السياسي و نجاح الدولة الأخمينية، بحيث إن هذه السياسة حققت نتائجها المرجوة إذ لم تشهِد الدولة في حينها أية حركات تمردية أو ثورات ضدها من جراء سياسة المواءمة تلك.

وقبل أن يغادر كورش الثاني بابل صرح أمام البابليين بأن إلههم الكبير مردوخ لم يُبارك للملك كورش الثاني فقط، ولكنه بارك لابنه قمبيز كذلك، وتوسل لكلَّ البابليين أن يُصلُّوا أمام الإلهين مردوخ ونابو من أجل الحياة المديدة له، ولكي يتحدثوا بالسمّو والشرف لـ (مردوخ)، فإن قمبيز كان ملزماً بأداء ذلك في صلواته[٤] وحضر قمبيز، بصفته حاكماً على بابل طقوس عيد اكيتو في الرابع من نيسان عام ٥٣٨ ق.م، وعندما أخذ يد نابو فقد أعطاه الإله صولجان الصلاح والاستقامة، وبعد ذلك يبدأ قمبيز في السير صاعدا الطريق المقدس إلى إيساكيلا، ثم يتم تجهيزه واعداده لأداء الطقوس والشعائر جميعها، وبعدها يقدم الصولجان إلى الإله مردوخ حتى يقوم بعد ذلك بأخذه عندما يمسك بيد مردوخ ويقدم له انحناءً واحتراماً، وبذلك يحصل على موافقة كبير آلهة

---

(١) ينظر: رضي، دين قدم ايراني، ص ١١٦.

(٢) سامي سعيد الأحمد، تاريخ فلسطين القديم، ص ٢٣٤.

(٣) ايرج رامتين، خلاصه ده هزار سال تاريخ ايران (قبل از اسلام)، ص ٧٩.

(٤) اولمستد، الإمبراطورية الفارسية، مج ١، ص ١٤٧.

بابل في التفويض والوكالة التي تسلمها من أبيه كورش الثاني لحكم بابل، وقد ابقى قمبيز كهنة معبد الإله نابو وموظفيه،[١] وبذلك احتفظ بعلاقته بالنُخب الدينة.

وعندما خرج كورش الثاني في حملته العسكرية ضد الماساجيتا[٢] قام بتعيين ابنه قمبيز حاكماً أو وصيًّا، وذلك بالسماح له باستخدام اللقب الرسمي (ملك بابل)، وبشكلٍّ مباشر أمسك قمبيز بيد مردوخ في احتفال عيد اكيتو من عام ٥٣٠ ق.م، وحينما وصلت أنباء موت كورش الثاني نُصّب قمبيز ملكاً[٣] ولم تُخلّف لنا المصادر التاريخية معلومات عن الديانة التي كان عليها قمبيز، ويمكن القول: إنه كان على المعتقدات التي عليها والده، وسار على خطاه في التعامل مع المعتقدات الدينية للشعوب التي خضعت للدولة الأخمينية، أي أنه لم يكن هناك دين محدد للدولة، وإنما ترك لهذه الشعوب حرية ممارسة معتقداتها الدينية لأغراض سياسية يتوخها بالتقرب إليها عن طريق احترام معتقداتها وطقوسها ما دامت لا تُشكلّ خطراً على الدولة.

وبعد أن تُوّجَ قمبيز ملكاً، ما يهمنا في الحديث بقدر تعلق الأمر بتعامله مع المعتقدات الدينية للشعوب التي خضعت للسيطرة الأخمينية، ويشغل الحديث عن سياسته في مصر حيزاً أكبر، لأنه يعطينا صورة أوضح عن التعامل مع معتقدات تلك الشعوب آنذاك. ولكي نسلط الضوء على هذا الموضوع نجد انفسنا أمام مصادر متناقضة في اتجاهاتها وتندرج على ثلاث: الأول تمثله روايات هيرودتس التي حصل عليها في أثناء زيارته لمصر ويُحتمل كانت ما بين (٤٤٨-٤٤٥ق.م) من أعداء قمبيز وهم الكهنة[٤] ويأتي المصدر الثاني ويُعد من أقدم الادلة – والتي من المؤكد أنها منحازة – للسيرة الذاتية لـ(أودجاهورسنت Udjahorresnet) المشهور الذي ظهر للساحة بعد غزو قمبيز لمصر في عام (٥٢٢ق.م)، إذ كان قائداً للأسطول المصري أيام أمازيس وبسماتيك الثالث، وكان كاهنا للإله نيث (إلهة مدينة سايس وهي إلهة الحرب)، وتقرب من قمبيز فعمل مرافقاً له وفي خدمة القصر[٥] والمصدر الثالث: الكتابات المصرية القديمة. وإزاء هذه المصادر الثلاثة علينا النظر بعناية فائقة لإماطة اللثام عن حقيقة تعامل قمبيز مع المعتقدات الدينية المصرية. هل كان يجُلها؟ أم على الضد منها؟

---

[١] المصدر نفسه، ص ١٤٨.

[٢] طائفة من الاسكيثيين يسكنون شرق نهر الرس(الفولغا)، ينظر: علي حسن النصيري، فارس في روايات هيرودوت، ص٩٠.

[٣] عبد الحميد زايد، الشرق الخالد، ص ٦٠٨؛ وعن اختلاف الروايات في مقتل كورش حسن بيرنيا، تاريخ ايران باستان،ج١، ص ٢٥٢.

[٤] علي حسن النصيراوي، فارس في روايات هيرودوت، ص ١٢١.

[٥] بريانت، موسوعة تاريخ الإمبراطورية الفارسية، ج٢، ص ٩٨٠؛ اولمستد، الإمبراطورية الفارسية،مج ١، ص ١٥٤.

تصوَّر راوية هيرودتس على أن قمبيز لم يحترم المعتقدات الدينية للمصريين، فبعد عودته من حملته الفاشلة في صحراء امون إلى منفس ظهر للمصريين العجل أبيس (الرمز الحي للإله بتاح إله منفس) فلبسوا أفخر ثيابهم، وقاموا بأفراحٍ عظيمة؛ لأن إلههم لم يظهر منذ مدة طويلة وقد ظهر في تلك الأيام، وهذا العجل الصغير(أبيس) لا تحبل أمه بغيره، وتحبل به بعد أن ينزل برق من السماء، وحدد هيرودتس علامات يُعرف بها، فظن قمبيز أنهم فرحوا؛ لعدم نجاح عساكره، مما دفعه إلى قتل الإله أبيس، والغاء الاحتفال بعيده، ومعاقبة الكهنة[١] ويبدو أن هذه الرواية فيها تحامل على قمبيز لأن مصدرها اعداؤه وهم الكهنة، ولعل المُراد منها النيل من قمبيز؛ كونه غازيا أجنبيا.[٢]

ولكن في ضوء المعطيات الآثارية المتمثلة باللوح الحجري الجيري الذي عُثر عليه في مقبرة سيرابيوم في منف يظهر قمبيز بالزي الملكي الرسمي واضعاً الأفعى، ويظهر راكعاً في احترام وتوقير أمام الحيوان المقدس، والنقش يخبرنا كيف إنه وتحت حكم ملك مصر العليا والسفلى سليل رع المحمية حياته إلى الأبد من قبل الإله، أبوه هو أوزريس المُقدس، جاء بسلام إلى الغرب الجميل، واستراح إلى الأبد في مدينة الأموات، بعدما قام الرجال بعمل كلَّ المراسيم في قاعة التحنيط.... كلَّ هذه الأشياء تَمَّت كما أمر جلالته في العام السادس لحكم قمبيز[٣] وبهذا يكون العجل المقدس أبيس قد مات عام ٥٢٤ ق.م عندما كان قمبيز في حملته في صحراء افريقيا، ففي السنة الخامسة لحكم قمبيز ولدت أبيس التالية، وكانت على قيد الحياة في العام الرابع من حكم داريوش الأول، وبحسب المعتقدات المصرية فإنها ولدت بدون أب وأن نور الشمس هو الذي لقح والدته وجاء أبيس إلى الوجود[٤] لذا فقد تيَّقن من أن الكتابة المنقوشة على حجر قبر العجل أبيس تدحض ما أورده هيرودتس حينما نسب إلى قمبيز قتل (العجل)، والتي عُدت من أفعال قمبيز الجنونية، وعلى الرغم من محاولة (ول ديورانت) تسويق رواية هيرودتس تلك على أن قمبيز كان يرمي بفعلته تلك الاستهزاء بعبادة البقر والتي لا تتفق وافكاره، وأن محاربته لهذه العبادات الخرافية هي لتحرير عقول الناس منها، وأن الإقدام على مثل هذه الحالات سيدفع الناس إلى ترك العبادات

---

[١] تاريخ، ك٣، ف٣٧.

[٢] علي حسن النصيراوي، فارس في روايات هيرودوت، ص ١٢١.

[٣] اولمستد، الإمبراطورية الفارسية، مج١، ص ١٥٣.

[٤] علي سامي، تمدن هخامنشى، هامش صفحة ٢١٣.

الخرافية والاوهام[١] وتبقى رواية (هيرودوتس) عن قتل قمبيز لأحد العجول المصرية المقدسة محض افتراء بحت، بدلالة أن قمبيز أول من وضع اسمه على تابوت العجل المقدس (أبيس)، وأول من وضع كساءً من الجرانيت الرمادي الرائع لهذا التابوت، وتم النقش على غطائه بالصيغة الملكية التي عرفها المصريون: "حورس سامتوي ملك مصر العليا والسفلى ميستيو ابن رع، قمبيز الخالد إلى الأبد، لقد صنع هذا الأثر لأبي وهو أوزريس المقدس تابوتاً كبيراً من الجرانيت، والذي تم إهداؤه إلى ملك مصر العليا والسفلى ميستيو – ابن رع– قمبيز الذي أعطى كلَّ الحياة....يبقى ملكاً لمصر العليا والسفلى".[٢]

ومن ادعاءات هيرودتس التي وصفها على أنها من أعمال قمبيز الجنونية، إذ نسب إلى قمبيز نبش قبور الكهنة، ودخوله معبد فلكانوس، وأهانته تمثال المعبد، ودخوله هيكلَّ الكابيرة اليهودي الذي لا يدخله إلا الكهنة فقط، وبعد إهانات وتهكمات كثيرة أحرق تماثيلها [٣] وتبقى مثل هذه الروايات اشاعات لُصقت بـ (قمبيز)، ويمكن الاستدلال من الكتابات الآرامية التي حُصل عليها والتي تذكر أن اليهود لم يثوروا، ولم يصبهم أي أذى[٤] وأن الصاق التُهم هذه من قبل مؤرخ يوناني سببه الصراع السياسي والعسكري اليوناني – الإيراني، ومن الدلائل الأخرى التي تُضعف هذه التُهم التي نُسبت إلى قمبيز ما جاء في النقش المحفوظ بالفاتيكان الذي يعود إلى (أودجاهورسنت) يُبيّن محافظة قمبيز على المعابد المصرية، وقد أحاط (أودجاهورسنت) قمبيز علماً بعظمة سايس موطن الإلهة نيث العظيمة، الأم التي ولدت رع، وبيَّن له عظمة موطن أوزريريس، وذكر للملك أن هناك كثيراً من الأجانب مُقيمين في معبد نيث، لذا أمر قمبيز بطردهم جميعاً، وأمر بتخريب دور الجند اليونان، ودمر أمتعتهم وأعادهم إلى ديارهم، وأعاد كلَّ موقوفات نيث، وأقام الاحتفالات والاعياد والمناسبات ثم قام قمبيز بنفسه بزيارة سايس ودخل معبد نيث ووقف أمامه وعظَّمه وقدم له القرابين، وعمل على كلَّ ما يقوم به الملوك من الأعمال الخيرية [٥] ومن الأعمال التي قام بها قمبيز مراقبة

---

[١] قصة الحضارة، ج١، ص ٤٣.

[٢] اولمستد، الإمبراطورية الفارسية، مج١، ص ١٥٢– ص ١٥٣.

[٣] تاريخ هيرودتس، ك٣، ف٣٧.

[٤] حسن بيرنيا، تاريخ ايران باستان، جلد دوم، ص ٦٠٥.

[٥] علي سامي، تمدن هخامنشى، ص٢١٤.

المعابد، ومنع اليونانيين من إرسال الهدايا إلى معابدهم، وهدايا الفراعنة إلى المعابد، وكذلك غدت مسألة تنصيب الكهنة وعزلهم بيد الملك قمبيز.[١]

وصفوة القول مما تقدم أن قمبيز عَظَّم الآلهة البابلية والمصرية وأقام الطقوس الدينية لها، وقدم لها القرابين والهدايا، وجلُّ ما قام به كان من أجل كسب ودّ الشعوب المغلوبة واستمالتهم إليه، مثلما فعل والده كورش الثاني الذي أظهر العمل نفسه مع تلك الشعوب باحترام معتقداتها وطقوسها الدينية، وإدراكهم أن إرضاء الأمم المغلوبة بعدم التدخل في معتقداتهم الدينية له أهمية في استقرار سياستهم وتثبيت سلطتهم والمُضي بتنفيذ أهدافهم الاستراتيجية.

وفي عهد الملك داريوش الأول تعامل مع المعتقدات الدينية للشعوب التي خضعت للسيطرة الأخمينية بما يخدم سياسته في استتباب الأوضاع الداخلية لدولته، فقبل تتويج داريوش الأول ملكا أدعى أحد المجوس (الكهان) وهو جوماتا أنه باردیا أخ قمبيز الذي قتله الأخير سراً قبل احتلاله مصر، وقد سئم الناس في فارس سياسة قمبيز، لذا استغل جوماتا الأوضاع، وانتحل شخصية باردیا الذي يُحظى باحترام الناس كونه ابن كورش الثاني، فالتف الناس (في فارس وماد وسائر الولايات) حوله، وتركوا قمبيز الذي ترك مصر حال سماع الخبر وبعدها بمدة وجيزة توفي، فاستولى جوماتا على العرش[٢] وبعدها استطاع داريوش الأول أن يقضي عليه، والذي يهمنا هو سياسة جوماتا الدينية التي استطاع داريوش الأول أن يستغلها ليظهر بالواجهة الدينية المقبولة في المجتمع الإيراني، ونسلط الضوء على ما جاء في عبارة غامضة من نقش داريوش الأول على جبل بيستون: وهي إعادة بناء المعابد التي دمرها جوماتا[٣] والسؤال الذي يتبادر لنا ما مرجعية هذه المعابد؟ ولماذا تم تهديمها؟ وهل كانت هناك معابد فعلا إذا اسلّمنا بأن الديانة التي كانوا عليها غير واضحة المعالم، الراجح أن هذه المعابد كانت لأقوام لا تدين بالزرادشتية التي عليها الكاهن جوماتا وهو من ميديا معقل هذه الديانة ومولدها، ويعتقد (ديكانوف) أن المعابد التي دمرها جوماتا هي معابد آلهة محلية، ويصف حركته بأنها انقلاب ديني[٤] ويبقى ذلك محط تخمين لا تدعمه نصوص أخرى غير ما متوافر من نقش بيستون الذي يُعد دعاية سياسية ورسالة بالظفر في السلطة ومصير جوماتا

---

(١) اولمستد، الإمبراطورية الفارسية، مج١، ص ١٥٥– ص ١٥٦.

(٢) حسن بيرنيا، تاريخ إيران القديم، ص ٩١.

(٣) اولمستد، الإمبراطورية الفارسية، مج١، ص ١٥٥– ص ١٥٦.

(٤) ميديا، ص٤٠٢.

الذي نعته أسوء النعوت، ويريد أن يثبت بها صحة نسبه الملكي وأنه ملك بفضل إرادة الإله اهوارمزدا.

وتمكن داريوش الأول من القضاء على جوماتا وانقلابه الديني الذي سيطر به على البلاط الأخميني وتسلمه السلطة لمدة سبعة اشهر، حتى إن الأخمينيين قتلوا معظم (المغان) وعُدَّ يوم قتلهم عيدا للفرس يحتفلون به ويطلقون عليه ماغوفونيا (أي قتل المجوس)، وفي هذا اليوم لا يسمح للمجوس أن يظهروا بين الناس بل يبقون في منازلهم،[١] ولكي يظهر داريوش الأول للأخمينيين بمظهر المحافظ على معتقداتهم الدينية. وإن أول عمل قام به بعد القضاء على جوماتا بحسب نقش بيستون هو إعمار المعابد التي دمرها جوماتا وارجاعها كما كانت.[٢]

وفي تولي داريوش الأول الملوكية حدثت انعطافه كبيرة في السياسية الدينية الأخمينية بعد أن كانت لم تتبيَّن هويتها بشكلٍ واضح في عهدي كورش الثاني وابنه قمبيز إلا أنها في عهد داريوش الأول نحت منحى مذهب التفيرد أي رفع شأن الإله اهورامزدا على حساب الآلهة الأخرى التي ترد إشارة عامة إليها دون تحديد اسمائها بحسب نقوش داريوش الأول (Dpe): إن هوارمزدا مع آلهة الأسرة الملكية؛ ونقش(Xpa) في برسبوليس الذي ورد فيه وصف للإله اهوامزدا على أنه الإله العظيم، وبإرادته أصبحتُ ملكاً على الأمم[٣] وبحسب هذه النقوش أن كلَّ الأمور في مملكته من إعمار، وادارة الأقاليم الخاضعة لسلطته التي يدرجها في نقوشه، ورمز السيادة والتبعية على هذه الاقاليم المتمثل بأخذ الخراج منها، كانت بإرادة اهورامزدا[٤] وهذا ما يؤكد الاعتقاد بأن الملك داريوش الأول لم يكُن على الديانة الزرادشتية؛ لأن هذه الديانة لا تعترف بتعدد الآلهة كما وردت الإشارة إليها على نقوشه في العاصمة برسيبوليس.

والتحول الثاني في سياسة الدولة تجاه اديان الأمم الخاضعة للسيطرة الأخمينية تحددها العلاقة بين المركز والأطراف، فكلَّما كانت متوترة يُصَّار إلى التشَّدد في حريتهم الدينية وعلى الضد إذ كانت العلاقة حسَنة ولم تُثار مشاكلٌ مع المركز يُسمح لهم بممارسة معتقداتهم الدينية بل وتقوم

---

(١) هيرودتس، تاريخ، ك٣، ف٧٩.

(٢) ديكانوف، ميديا، ص٤٠٢.

(٣) بروز رجبي، هزاره هى كمشده، ص ٣٦٨، ص ٣٦٩، للتوسع ينظر: پى ير لو كوك، كتيبه هاى هخامنشى، بند كتيبه هاى تخت جمشيد، كتيبة (DPe)، ص ٢٧٢، بند ١، ص ٣٠١.

(٤) المصدر نفسه.

الدولة بدعمها واحترامها. وذهبت السياسة الأخمينية في التعامل مع ثورات الاطراف بأنها ثورات دينية ضد الإله اهورامزدا؛ وفُرض عليهم عبادة الإله اهوارمزدا.

وعرف داريوش الأول مكانة الدين في قلوب المصريين، وقد صادف وصوله إلى مصر (٥١٨ ق.م) مع موت العجل المُقدس أبيس، ولكي يظهر احترامه لمعتقداتهم الدينية شاركهم في مراسيم العزاء للعجل القديم أبيس، ووعدهم بالهدايا الثمينة من الذهب لمن يجد العجل الجديد،[١] وكرَّم مقام الكهنة، وشارك في مراسيم تقديم القرابين على وفق ما كان يقوم به الفراعنة. وأمر ببناء معبد لإله المصريين الكبير (آمون) في هيبس عاصمة الواحة الجنوبية (الخارجية) من الحجر الرملي على غرار معابد المصريين القدماء، ورمم معابد مختلفة للآلهة المصرية: مين، وحورس، وايزيس بناحية قفط، وآمون، وموت، وخونس بناحية طيبة[٢]. وجاء في أحد الألواح الحجرية: "داريوش المولود من الإله نيث أم آلهة مصر والإله رع إله الشمس المحرقة"[٣]. ونقش على جدران معبد (هيبس) في الواحة الخارجية اسم الملك داريوش الأول مُلقبا بألقاب فرعونية، ويظهر داريوش الأول مرتدياً الزي الفرعوني ويُقدم القرابين إلى الآلهة المصرية[٤] ورفع المصريون الملك داريوش الأول إلى مصاف الآلهة، ففي شاهد آثاري موجود في متحف برلين يوضح أن داريوش الأول كان على هيأة إله بصورة صقر.[٥]

وتضيف الشواهد التاريخية بما يوضح توظيف الدين في السياسة التوسعية الأخمينية، فقد أمر داريوش الأول حكام الولايات وقادة القوات العسكرية بأن يحترموا المقدسات والمعتقدات الدينية للشعوب التي خضعت لهم، ففي هجوم الجيش الأخميني على اليونان، وعندما اقترب القائد الميداني (داتيس) من جزيرة (ديلوس) التي فيها المعبد المقدس للإله أبولّو (إله النبوءات) فخاف الأهالي مما دفعهم للفرار، إلا أن القائد أمرهم بالرجوع لأن داريوش الأول أمره بعدم المساس بمعبد ابولّو والعبث به، بعدها أمر بشراء ٣٠٠ طالنت (والطالنت يعادل ٣٠ كغم و٥٠٥ غم) من عطر الكندر ليحرقه أمام محراب ابولّو، لذا سماه اليونان بـ(حامي ابولّو).[٦] ولقد عُثر في السنوات

---

(١) زايد، الشرق الخالد، ص ٦٢١– ص ٦٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ص٦٢٤

(٣) علي سامي، تمدن هخامنشى، ص ٢١٣.

(٤) Kent, R.,C., Old persian Texts, The Darius suez Inscription, in ,(JNES), Vol. 1, pp. 221-222.

(٥) ارمان، ديانة مصر القديمة، ص٤٤٢.

(٦) علي سامي، تمدن هخامنشى، ص ٢١٤– ص ٢١٥؛ بيرنيا، تاريخ ايران باستان، جلد دوم، ص ٦٦٩.

الأخيرة بتلك الجزيرة على نقش باسم (داريوش الأول) منذور للإله أبولّو.[١] ونبقى في احترام الإله أبولّو، فحينما سُرق أحد جنوده تمثال الإله أبولّو وعُثر عليه في أحد السفن الفينيقية في ضمن الاسطول الأخميني حملهُ القائد (داتيس) وارجعهُ إلى جزيرة (ديلوس)؛ وفي شاهد تاريخيّ آخر حينما قام الحاكم الأخميني على آسيا الصغرى (كاداتس) بالتجاوز على العاملين في المزارع التابعة لمعبد الإله أبولّو وأمرهم بالعمل في اماكن أخرى فضلاً عن طلبه المال منهم عدَّ داريوش الأول ذلك اعتداءً صارخاً على حرمة المقدسات الدينية وبحسب ما مثبت في لوح حجري مكتوب باللغة الآرامية مُعنفاً هذا الحاكم بقوله: " أما من الجانب الآخر أنت لا تملك عواطفي تجاه الآلهة المنظورة فإذا لم تُغيَّر وجهة نظرك كُنت كمن هتك حُرمَّتي وسترى غضبي وقسوتي أشدُ عليك؛ لأنك فرّضت على فلاحي المزارع المقدسة لأبولو واجبرتهم بالعمل في أراضي غير مُقدسة، أعلم أن هذا العمل في حكم المُخالفة مع مشاعر أجدادي تجاه الآلهة..." [٢] وما يؤكد احترامه لآلهة الشعوب الخاضعة لسيطرته بسَكّهِ عملةٌ في اليونان تحمل صورة الإله ابولّو، وكذلك سك عملة نقدية للفينيقيين عليها صورة الإله بعل.[٣]

وليس لأغراض سياسية أو ربما هي محاولة مواءمة بين بعض المعتقدات الدينية للشعوب الخاضعة لسيطرة الدولة الأخمينية مع المعتقدات الإيرانية القديمة لإيجاد تقاربات معتقداتية تصبُّ في مصلحة السياسة الأخمينية، نذكر ما علمناها: إن داريوش الأول أمر أهالي قرطاجنة بمنع تقديم الأنسان قرباناً للآلهة، ودفن الأموات بدلاً من حرقها؛ وذلك لقداسة النار،[٤] وفي ذلك أيضاً دلالة على أن داريوش الأول لم يكن على الديانة الزرادشية؛ لأن تقديس النار معتقد آري قديم فضلاً عما ذكرناه من أن الزرادشتيين لم يدفنوا موتاهم لأنهم يقدسون التراب فلا يمكن تلوثه بجثث الأموات.

ولنا من الشواهد التاريخية التي تُبيَّن حقيقة التعامل مع المعتقدات الدينية بما يخدم السياسة التوسعية الأخمينية ففضلاً عما ذكرناه من أمثلة توضح احترام داريوش الأول لمعتقدات قسم من الأمم الخاضعة لسيطرته أو في طريقها للخضوع وهذا يتوقف على مدى تقبل هذه الأمم للسياسة الأخمينية من عدمها، فنلاحظ الضد إذا استعصت بعض المناطق بوجه السياسة التوسعية

---

(١) جميلة عبد الكريم محمد، قورنائية والفرس الأخمينيون، هامش ٣، ص ١٢٤.

(٢) علي سامي، تمدن هخامنشى، ص ٢١٥.

(٣) همان منبع، ص ٢١٥.

(٤) بيرنيا، تاريخ ايران باستان، جلد دوم، ص ١٤٥٥– ص ١٤٦١.

وقاومتها، وأحياناً سياسة الاحتواء الديني لم تجدِ نفعا ؛ فيكون التعامل بضرب هذه المعتقدات والتجاوز على مقدساتهم، ويكفينا بعض الشواهد على ذلك: هي حرق بيوت ومعابد جزيرة (ناكسوس- تقع في الجنوب الغربي من بحر أيجه-) في اثناء احتلاله لليونان؛[١] وكذلك في انتقام داريوش الأول بحرقه معابد المدينة اليونانية (أرتيرية- تقع في جزيرة يوبيا-)[٢] ومن الشواهد التاريخية التي تُبين تعامل داريوش الأول مع المتمردين بأيديولوجية دينية- سياسية ما تمثل بتعامله مع تمرد العيلاميين (٥٢٢ ق.م) بقيادة أتاميتا؛ وكذلك تمرد شعب الساكا، فحينما قضى على تمردهما جاء التبرير الديني لذلك بحسب ما مُثبت في نقوش بيستون: "إن هؤلاء العيلاميين والسكاكيين ملحدون وإنهم لا يعبدون اهوارمزدا بينما أنا عبدت اهورمزدا وبفضل اهورامزدا وبرغبتي فعلت فيهم ذلك"[٣] وهنا يتبيَّن أنه بدوافع سياسية عدَّ كلَّ من يخرج على حكمه هو خروجاً على الإله اهورامزدا، وهذا يُبرر فعله بسحق التمردات ونعتِها بنعوت الكفر والكذب بصفته نائب الإله اهورامزدا وقد تسلَّم الملوكية منه بحسب نقش بيستون الذي يُصور اهورامزدا وبيده اليسرى حلقة ترمز للسلطة وداريوش الأول ماداً يده اليمنى لتسلمها.

ونخلص مما تقدم في نتيجة مفادها أن داريوش الأول تعامل مع الاديان الأخرى في ضوء الاعتبارات التوسعية، وفي اتباعه سياسة احترام وتقديس المعتقدات الدينية للأمم التي خضعت أو في طريقها لسيطرته ليس لشعوره بالمساواة الدينية او الحق الديني بل إنّ عمله هذا يُسهل عليه توحيد هذه الأمم في مملكته ودمجها. وبعد أن قويت الدولة في أواخر عهده انتفت الحاجة إلى كسب ود الأمم والأقوام غير الفارسية، لذا فإن السياسة الأخمينية تجاه هذه الاقوام المنضوية تحت سيطرتهم يوجهها مؤشر الولاء، فإذا كان باتجاه تقديم الولاء وعدم إثارة المشاكلَّ فهنا تترك لهم ممارسة معتقداتهم بحرية مع احترامها وتقديسها، وفي الضدّ من ذلك أي عند حدوث ثورة أو عصيان ضد السلطة الأخمينية فإن الأمور تتغير جذرياً، فلم تُقمع بالقوات العسكرية فحسب، وإنما بالعقوبة الملائمة لهذا التصرف بمهاجمة معتقداتهم الدينية أيضاً.

وفي تولي السلطة الاخمينية من قبل خشايارشا يؤكد ذات النهج الذي سار عليه الملوك الذين سبقوه على أنهم نُصبوا من قبل الإله إذ يقول: " اهورامزدا هو الإله العظيم.....الذي جعل

---

(١) ينظر: محمد كامل عيّاد، تاريخ اليونان، ص ٢٨٠- ص ٢٨١.

(٢) كرشمان، تاريخ ايران از اغاز تا اسلام، ص ٦٦.

(٣) بريانت، الموسوعة، ج١، ص ٢٩٨- ص ٢٩٩.

خشايارشا ملكاً...."[١] واستمرت السياسة الدينية في عهد خشايارشا مثلما رسمها داريوش الأول في أواخر عهده، فقد ورث دولة قوية من والده، فكانت سياسته مغايرة لمن سبقه من الملوك الأخمينيين: (كورش الثاني، وقمبيز، والمراحل الأولى من عهد داريوش الأول) الذين تعاملوا في هذه الحقبة بتركهم الأمم والأقوام يعبدون آلهتهم ولم تُفرض عليهم ديانة معينة. ومن الجدير بالذكر أن سياسة خشايارشا الدينية، وهو حاكم على بابل، على غير سياسته وهو ملك، فحينما كان حاكما في عهد والده داريوش على بابل تسلَّم تاج الملوكية والصولجان الذهبي من تمثال الإله البابلي مردوخ، وكان متسامحا مع عَبَدة هذا الإله،[٢] هذا ما كانت تمليه عليه ظروف الدولة وسياستها التوسعية في عهد والده التي كانت بحاجة إلى تهدئة الأوضاع مع الأمم الخاضعة لها، وأفضل ضابط إلى ذلك هو إرضاء عواطفهم باحترام معتقداتهم الدينية؛ لكي لا يثيرون مشاكلَّ تعرقل المشروع الأخميني التوسعي، ولكن حينما أصبح ملكاً تغيرت سياسته الدينية كما عرفنا أن الدولة الأخمينة في أواخر عهد داريوش الأول وبداية عهد خشايارشا قويت وليست بحاجة إلى إرضاء هذه الأمم. ومن الشواهد التي تؤكد ما ذهبنا إليه هي الطريقة الوحشية التي أخمد بها ثورة بابل(٤٨٢ ق.م) فقد أرسل زوج أخته (ميجابيزوس) وهو من أعظم قادة الدولة، وتمكن من استعادة المدينة في الحال، وقد حل بمدينة بابل عقاب شديد، حيث دمر زقورة بابل، ودك جميع المعابد بالمدينة،[٣] وتم صهر تمثال الإله مردوخ الذي يبلغ طوله ١٨ قدماً ويزن ٨٠٠ رطلاً من الذهب الخالص وتحويله إلى سبائك ذهبية، وأعدم الكاهن الذي عارض تدنيس المعابد[٤] ويتجلى في هذا الحادث توظيف الدين بشكلَّ مغاير فبدلا من سياسة احترام المعتقدات الدينية، هنا وجهت ضربة عنيفة لآلهة بابل ونُخبها الدينية وبيوت آلهتهم، لكي لا يجرؤ أحد بعد هذا الحادث على القيام بثورة أو عصيان ضد الدولة. وتوخى الأخمينيون من إخفاء تمثال الإله مردوخ أيقاف الاحتفالات بعيد رأس السنة البابلية (أكيتو) وإنهاءها، [٥] وبذلك يُسدل الستار على المعتقد الديني السائد في تتويج الملك بأن يمسك بيد

---

[١] برويز رجبي، هزاره هاى كمشده، ص٣٧٥.

[٢] تاريخ امبراتري ايران، ص ٢٣٥.

[٣] اولمستد، الإمبراطورية الفارسية، مج١، ص٣٥٥- ص ٣٥٦.

[٤] هيرودتس، تاريخ، ك١، ف، ١٨٣؛ ونقلها اولمستد، الإمبراطورية الفارسية، مج١، ص٣٥٥- ص ٣٥٦؛ وينظر: طه باقر، المقدمة، ج١، ص٥٨٠؛ جورج رو، العراق القديم، ص ٥٤٨.

[٥] سامي سعيد الأحمد، الصراع خلال الألف الأول قبل الميلاد(٩٣٣- ٣٣١ ق.م) فصل في كتاب الصراع العراقي الفارسي، بغداد، ١٩٨٣، ص ٨٦.

الإله مردوخ في مستهل السنة الجديدة، وبهذا لم يبقَ لأي فرد في المدينة حق ادعاء الملوكية[١] وليس لدينا من المعطيات التاريخية والآثارية بما يدعم أو يدحض رواية هيرودتس (الذي يسمي الإله مردوخ زيوس) المذكرة آنفاً، وتبقى الشاهد الوحيد على ما حدث في بابل عقب ثورتها ضد خشايارشا، إذ إن هيرودتس زار بابل بعد عشرين عاما تقريبا من ذلك الحدث ولا يشير إلى آثار تدمير واضحة ويقتصر على قصة أخذ تمثال الإله، وقتله كاهن المعبد الذي حذّره من مغبة عمله.[٢]

ويتجلى التوظيف الميثولوجي بأوضح صوره عند خشايارشا على أنه يُنفذ أمر الإله اهورامزدا بسحق هذه الثورات، وبتدمير معابد آلهة الثائرين، ويأمر بعبادة اهورامزدا بدلاً من تلك الآلهة الكاذبة بحسب الالواح الحجرية في تخت جمشيد[٣] بند(٤) بقول خشايارشا: " عندما أصبحت ملكاً، أحدى هذه الدول- تم ذكر هذه الدول في بند ٣من اللوح- اعلنت الثورة، عندها أعانني اهورامزدا عليها وبعون اهورامزدا أخمدت هذه الثورة..."؛ وكذلك في البند (٥) ما نصه: "ومن بين تلك الدول كان هناك بلاد يعبدون الديو (الشيطان) وقمت بتدمير معبد الديو وأمرت بعدم عبادته في تلك البلاد.... وأن يعبدوا اهورامزدا وآرتا- التي تعني الحق-". والمُلاحظ على الألواح الحجرية أن خشايارشا لم يذكر أسم البلد وتاريخ أو مدة حدوث تلك الاضطرابات، ويمكن فهم معنى واحد لما سجله، إنه يقصد كلَّ المدن والولايات، ويهدد في حالة تمرد أي مدينة ضده فإنه سيُضطر إلى ضرب كلَّ المقدسات الدينية لتلك المدينة[٤] والراجح من التمعن بهذه الالواح يتضح أن المقصود هو: بابل أو بلخ، ولا يمكن استبعاد مصر، لأنها في قائمة البلدان التي ثارت، ويظهر خشايارشا في نقوشه الإعلان عن سياسته بما يوحي أن تأدية المعتقدات الدينية تسير على وفق المقبولية دون المساس بها في حالة السلَّم في أرجاء الدولة، ولكن الاضطرابات والثورات تحوَّل دون تأديتها، لذا يتُم إلغاؤها وتدمير معابدها؛ وفي هذا يريد أن يوصل رسالة مفادها أن ممارسة المعتقدات الدينية للأمم الأخرى لا يمكن أن تُمس في الحالة الطبيعية، وأن التمرد والثورة يقود إلى سلب تلك الحرية، وهذا بأمر من الإله اهورامزدا.

---

(١) اولمستد، الإمبراطورية الفارسية، مج١، ص٣٥٦.

(٢) طه باقر، المقدمة، ج١، ص٥٨٠.

(٣) برويز رجبي، هزاره هاى كمشده، ص٣٧٦.

(٤) حسن بيرينا، تاريخ ايران باستان، جلد دوم، ص١٠١.

وتضيف الشواهد التاريخية في إيضاح توجه خشايارشا السياسي- ديني والذي لا يبتعد في خطوطه وتفصيلاته عن توجه والده داريوش الأول في مراحل حكمه الأخيرة، بحيث يخضع احترام المعتقدات الدينية للأمم تبعا لمواقفها، فنرى في تقدم قواته لاحتلال اليونان أمر جنوده بعدم الاقتراب من المناطق المقدسة مثل (معبد زيوس والغابة الخاصة به)، وأمر بالحفاظ على ممتلكات معبد دلف؛ وذلك لعدم مقاومة الأهالي للقوات الأخمينية، وفرارهم من مناطقهم[١] بينما على الضد في التعامل مع معابد أثينا ومقدساتها الدينة إذ قاومت القوات الأخمينية واستعصت على المهاجمين إلا أنهم تمكنوا في الأخير من دخولها (سنة ٤٨٠ ق.م)، فقاموا بنهب المعابد ومن ثم أشعلوا النيران فيها،[٢] بعد أن كُسِرت تماثيل آلهتهم مبررا ذلك أن الإله لا يحويه مكان، ولا يمكن تجسيمه بهيأة تمثال، مما أضرم نار حقد اليونانيين عليه.[٣]

خاتمة البحث ونتائجه:

بعد الانتهاء من هذه الرحلة التاريخية واستنطاق الروايات وربط الأحداث بمسبباتها وإشارات المؤرخين وما مُثبت على النقوش التي تخص الدولة الأخمينية في المدة التي أشار إليها البحث اتضحت لنا جملة من النتائج يُمكن أجمالها بالآتي:

١- وظف الملوك الأخمينيون والذين شهِدت الدولة في عهدهم السياسة التوسعية وهم: (كورش الثاني، وقمبيز، وداريوش الأول، وخشايارشا) الميثولوجيا الدينية على أفضل توظيف في عملياتهم العسكرية؛ وبفضل ذلك حققوا انتصارات خدمت مشروعهم التوسعي.

٢- لم تتضح معالم ديانة كلَّ من (كورش الثاني وابنه قمبيز)، فقدسوا آلهة الأمم التي خضعت لسيطرتهم فضلاً عن تقديس آلهة آرية.

٣- اتضحت معالم الديانة الأخمينية في عهدي (داريوش الأول وابنه خشايارشا) إذ اتجها نحو التفريد بتعظيم الإله اهورامزدا مع عدم إهمال آلهة أخرى.

٤- تعامل كورش الثاني وابنه قمبيز مع المعتقدات الدينية للأمم التي خضعت لسيطرتهم باحترام كبير؛ وذلك لأهداف برغماتية تخدم سياستهم التوسعية، ولم تكن بدافع ديني بحت، مما حقق لهم الاستقرار وعدم إثارة المشاكلَّ والتمردات.

---

[١] علي سامي، تمدن هخامنشى، ص٢١٧.

[٢] محمد كامل عيّاد، تاريخ اليونان، ص ٣١٨.

[٣] علي سامي، تمدن هخامنشى، ص٢١٦؛ زرين كوب، تاريخ مردم ايران،ص ١٦٤.

٥- تعامل كلَّ من داريوش الأول وابنه خشايارشا تعاملاً نسبياً مع المعتقدات الدينية للمناطق والمدن التي يراد اخضاعها أو التي خضعت للسيطرة الأخمينية فحينما لم تبادر إلى مقاومة هذه السياسة التوسعية يكون التعامل معها باحترام معتقداتهم الدينية وتقديس آلهتها وتكريم نُخبها الدينية؛ بينما على الضد في حالة مقاومة هذه المناطق لتلك السياسة فإنها تلقى التجاوز على معتقداتها الدينية ومقدساتها من آلهة ومعابد.

٦- إن السياسة الدينية الأخمينية ذات النزعة النفعية والمتمثلة بالتظاهر باحترام المعتقدات الدينية للأمم التي خضعت لسيطرتها آتت بأُكلَّها، فلم تثر اضطرابات أو تمردات طوال عهدي كورش الثاني وقمبيز وسنوات من عهد داريوش الأول، ولكن حينما استقوت الدولة انتفت الحاجة إلى سياسة الاستعطاف الديني وبدأت المشاكلَّ تتفاقم سواء أكان في السياسة التوسعية أم بعد خضوع هذه الأمم للسيطرة الأخمينية حيث وجدت مقاومة من بعضها اقتضى ضربها عسكريا وعقائديا لتداخل الأثنين معاً. وتعاملوا مع معتقدات الأمم الخاضعة لسيطرتهم تبعا لانصياعها أو عدمه.